الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية

دروس في التفسير اللغوي للقرآن الكريم

موجهة إلى طلبة السنة الثالثة ليسانس

لغة عربية ودراسات قرآنية

إعداد : أد/ عبد الناصر بن طناش.

السنة الجامعية: 1441/1441هـ/ الموافق: 2019/ 2020م.

الدرس الأول: التفسير اللغوي للقرآن الكريم

(مفاهيم لغوية واصطلاحية)

– قبل البدء في تحديد مفهوم" التفسير اللغوي "كمركب يتعين أولا الوقوف عند كلمتي" التفسير" و "اللغوي" مستقلتين من الناحيتين **اللغوية و الاصطلاحية** .

أولا:مفهوم التفسير

أ)–لغة: (التفسير)كلمة على وزن (تفعيل) ،وهي مصدر الفعل (فسَّر) على وزن (فَعَّلَ) من الفسر أصل المادة اللغوية ، وهي تدل على بيان الشيء و إيضاحه[1] ،و لهذا قال ابن الأعرابي(ت231هـ) الفسر: كشف المغطى[2].

و قيل إن المادة اللغوية مأخوذة من قولهم: فسرت الحديث أفسُره فسرا إذا بينته وأوضحته و فسرته تفسيرا كذلك[3] .

وجاء في **لسان العرب** قوله:"الفسر البيان ،فسر الشيء يفسِرُهُ(بالكسر) ويفسُرُه(بالضم) فسرا،وفسرة أبانه ، والتفسير مثله..." ثم أضاف قائلا:"الفسر :كشف المغطى ،والتفسير:كشف المراد عن اللفظ المشكل."[4].

وقال **أبو حيان الأندلسي**(ت745هـ):"...ويطلق التفسير أيضا على التعرية للأنطلاق .قال ثعلب:تقول:فسرت الفرس :عريته لينطلق... وهو راجع لمعنى الكشف،فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري ."[5]

و ذكرالعلامة **الراغب الأصفهاني**(ت403هـ) **في مفرداته** أن: " الفسر إظهار المعقول...و التفسير المبالغة كالفسر."[6]

و هذا يعني أن "التفسير" و"الفسر" في أصل المعنى واحد هو إظهار المعنى لكن التفسير في المبالغة أكثر من الفسر.

و زعم قوم أن (فسر) مقلوب من(سفر) يقال:سفرت المرأة سفورا إذا ألقت خمارها عن وجهها[7]، وسمي (السَّفَرُ) (سَفَرا) لأنه يكشف عن أحوال الناس. و جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ **وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ** ﴾ **المدثر/34**، بمعنى ظهر[8] ،والسِّفر: الكتاب الذي يسفر عن الحقائق وجمعه أسفار قال الله تعالى في سورة الجمعة : ﴿... **كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ** ...﴾ **الجمعة/5** ،...و(السفرة) جمع (سافر) كـ(كاتب) و (كتبة) ...،لأن الكتابة تكشف و توضح أيضا و هكذا ...

---

[1] – مقاييس اللغة .أحمد بن فارس ،تحقيق : ع السلام هارون ج4/ 504 .

[2] – ينظر. تهذيب اللغة أبو منصور الأزهري ج406/12.

[3] – جمهرة اللغة. ابن دريد ج718/2، و العين .الخليل بن أحمد الفراهيدي ج246/7.

[4] – لسان العرب. ابن منظور مادة: فسر

[5] – البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي ج121/1.

[6] – معجم مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني.تحقيق :يوسف الشيخ محمد البقاعي .ص287

[7] – البرهان في علوم القرآن .بدرالدين الزركشي ج147/2

[8] – تفسير الجلالين.جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلى .ص576

–والأشهر في الاستعمال :(فسَّر) (تفسيرا) بتشديد حرف السين و به جاء القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ﴾**الفرقان /33**، قال مجاهد بن جبر (ت104هـ)في تفسير الآية :"**و أحسن تفسيرا**:بيانا"[9] .

–ومن الألفاظ التي تستخدم للدلالة على التفسير لفظ (التأويل)، ولفظ (المعنى) . قال ابن الأعرابي : " التفسير و التأويل والمعنى واحد" [10] ،فإذا قال مفسر:(معنى هذه الآية كذا) أو قال :(تأويل هذه الآية كذا فإن المراد هو تفسيرها).[11]

و المتتبع لتفسير ابن جرير الطبري(ت 310هـ) يجده يستعمل مصطلح (تأويل) في كتابه استعمالا واسعا بمعنى التفسير بدءا بعنوان كتابه "جامع البيان عن تأويل أي القرآن " ،كما كان يطلق هذا اللفظ على أهل التفسير فيقول:أهل التأويل و يصدر تفسيره للآية بقوله: 'القول في تأويل قوله تعالى...." [12]

و مما تقدم يمكن استنتاج الملاحظات الآتية:

1–إن التفسير أصله مادة:" فسر" يفسر فسرا .

2–دلالة التفسير تدور حول الكشف و البيان و الإيضاح و يغلب استعمال هذا المصطلح في الدلالة على الجانب المعنوي ،كما يمكن أن يستعمل في الدلالة على المعنى الحسي نحو ما أشار إليه أبوحيان نقلا عن ابن الأعرابي.

3–إن المضارع من (فسر) يكون بكسر عين الفعل (يَفْسِرُ)، كما يكون بضمها(يَفْسُرُ)

4–للفظ (تفسير) كلمات تقابلها في الدلالة ثبتت عند السلف من مثل (التأويل) و (المعنى) .

ب)– اصطلاحا:إن المتتبع لأقوال العلماء الذين اجتهدوا لوضع تعريف لمصطلح (التفسير) يجدها عديدة ومختلفة في عبارتها وألفظها إلا أنها متحدة من جهة المعنى وتهدف إليه. كما أن بعض هذه الأقوال فيها شيء من التوسع و بعضها الآخر يميزه الاختصار والإيجاز. ومن هذه التعريفات:

1–تعريف أبي حيان الأندلسي(ت745هـ):"التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن و مدلولاتها،و أحكامها الإ فرادية و التركيبية،و معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب و تتمات لذلك"[13] ثم تولى شرح هذا التعريف بقوله :

–"فقولنا (**علم**) هو جنس يشمل سائر العلوم.

–وقولنا (**يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن**) هذا علم القراءات .

---

[9] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،ابن جرير الطبري.ج12/19

[10] – تهذيب اللغة.ج407/12

[11] – تاج العروس من جواهر القاموس.مرتضى الزبيدي .مادة :عني

[12]– جامع البيان. تحقيق عبد المحسن التركي.ينظر (عنوان الكتاب) وينظر مثلا.ج1/165،160،159،149،147 وغيرها.

[13] – البحر المحيط ج121/1.

-و قولنا (**و مدلولاتها**)أي مدلول تلك الألفاظ و هذا علم اللغة التي يحتاج إليه في هذا العلم .

-و قولنا (**و إحكامها الافرادية و التركيبية**)هذا يشمل علم التصريف و علم الإعراب و علم البيان و علم البديع .

-(**و معانيها التي كمل عليها حال التركيب**) شمل بقوله (التي تحمل عليها) ما لا دلالته عليه بالحقيقة ،و ما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ،و يصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يُحمل على غير الظاهر و هو المجاز.

-و قولنا(**تتمات لذلك**) هو" معرفة النسخ و سبب النزول و قصة توضح ما انبهم في القرآن و نحو ذلك."[14]

يبدو أن تعريف أبي حيان الاندلسي يدور حول جملة من المفاهيم وهي:

أ)-التفسير علم من العلوم كبقية العلوم الأخرى بعد أن تحدد موضوعه وطريقة دراسته والهدف المتوخى من الدراسة وهي عناصر يطلبها كل علم وإن كان هناك فرق بين العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية والإنسانية.

ب)-جمع مفهوم التفسير عند أبي حيان بين ما يحتاجه المفسر من علوم العربية كـ(علم الدلالة، وعلم التصريف ،وعلم التراكيب، وعلم البيان، وعلم البديع ،والحقيقة والمجاز) وما يحتاجه من علوم القرآن كـ(علم القراءات وعلم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ) وما يمكن أن يخدم بيان التنزيل من قصص ووقائع وأمثال وغيرها وهذا في قوله (ونحو ذلك).

ج)- الإشارة إلى علم القراءات يمكن أن يكون له أثر في المعنى وهو معين على التفسير وقد لايكون له علاقة بالمعنى ولا أثر له كـ (الإمالة)و(الإدغام)و(الهمز) وغيرها ،فهي ليست من علوم التفسير التي يحتاجها المفسر.

2-تعريف بدر الدين الزركشي(ت794هـ) و قد ورد في موضعين اثنين من كتابه" البرهان في علوم القرآن".

فأما **الموضع الأول** فيقول فيه: هو"علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم و بيان معانيه واستخراج أحكامه و حكمه ."[15]

وفي **الموضع الثاني** قال: "هو علم نزول الآية و سورتها،و أقاصيصها ، والإشارات النازلة فيها ، ثم ترتيبُ مَكيِّها ومدنيِّها ،ومُحكَمِها و مُتشابِهِهَا ،و ناسِخها و مَنسُوخها، و خاصِّها، و عا مِّها، و مُطلقها، ومقيَّدها ،و مُجمَلها و مُفسَّرها .

و زاد فيه قوم فقالو:علم حلالها ،و حرامها ،و وعدها، و وعيدها، وأمرها ،و نهيها، وعبرها و أمثالها ."[16]

يمكن أن نسجل على تعريف الزركشي جملة ملاحظات وهي:

أ)- الإشارة إلى أن التفسير علم كبقية العلوم وهذا يتفق مع ماذكره أبو حيان الأندلسي.

---

[14] - .المصدر نفسه ج26/1.

15 -البرهان في علوم القرآن ج13/1 .

16 - المصدر نفسه ج48/2 .

ب)-دوران التفسير حول الكتاب المنزل على مُحَمَّد ﷺ وهذا يخرج بقية الكتب الأخرى المنزلة على أنبياء الله تعالى كالتوراة والانجيل .....

ج)-التركيز على العلوم التي لها صلة بعلوم القرآن والتفصيل فيها جاء في القول الثاني.

3-**تعريف عبد العظيم الزر قاني**(ت 1367 هـ/1948م) قال: هو"علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية."[17]

تضمن تعريف عبد العظيم الزرقاني ثلاث نقاط أساسية وهي:

أ)-الإشارة إلى أن التفسير علم وفيه تأكيد لما تقدم في التعريفين السابقين.

ب)-التفسير بحث عن دلالة ما جاء في كتاب الله تعالى ،ومفهوم الدلالة هنا فيه اتساع.

ج)-التفسير بحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشريه وفي هذا تأكيد على أن مراد الله تعالى لايعلمه إلا هو وما يقع من المفسر اجتهاد بشري يتفاوت الناس فيه كل بحسب قدراته وعلمه.

4-تعريف مُحَمَّدالطاهر بن عاشور. قال:التفسير... اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن و ما يستفاد منها باختصار أو توسع."[18]

يتضح من تعريف مُحَمَّد الطاهر بن عاشور ما يأتي:

ا)-التأكيد على أن التفسير علم وبهذا يتحقق العلماء حول كون التفسير علم كبقية العلوم الأخرى.

ب)- التفسير يبحث عن بيان وكشف دلالات ألفاظ القرآن الكريم ومن ورائها الوقوف على دلالات الآيات الكريمة أي أن المعرفة بدلالة الألفاظ سيؤدي حتما للوقوف على مايستفاد منها من دلالات تخص الآية والآيتين وهكذا...

ومما مايلاحظ على هذه التعاريف جميعها أنها انطلقت في تحديد الدلالة الاصطلاحية للفظ (التفسير) من المعنى اللغوي ، و هذا يمثل وجه الصواب .و قد استعملت جملة عبارات و هي :بيان و شرح و كشف للتعبير عن معنى التفسير.

وبناء على ما تقدم من ملاحظات حول التعاريف يمكن تحد يد مفهوم التفسير بأنه **"بيان أو شرح القرآن الكريم."**

ومعنى (بيان) يخرج كل ما كان غير بيان من المسائل الفقهية والمسائل النحوية و مبهمات القرآن و غيرها مما يذكر في كتب التفسير مما لا أثر له في التفسير.

- و **القول (القرآن الكريم)**يُخرج كل ما كان من كلام لغير الله تعالى و كلامه لملائكته و كلامه لرسله السابقين لمحمد صلى الله عليه و سلم وكذلك الحديث القدسي.

---

[17]- مناهل العرفان.عبد العظيم الزرقاني .ج3/2.

[18]- تفسير التحرير و التنوير.مُحَمَّد الطاهر بن عاشور . ج11/1.

ثانيا:مفهوم اللغة

أ)– لغة:اللغة وزن(فُعلة) من لغوة بمعنى :تكلمت. و أصل اللغة هي (لُغْوة) ،و قيل :(لُغَيٌ) أو (لُغَوٌ) على وزن (فُعَلٌ) و الهاء فيها عوض وجمْعها :لُغيٌ و لغات و لُغون. [19]و اللغة:اللِّسْنُ و النُّطْق يقال:هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون بها .[20]و لَغْوَى الطير:أصواتها .[21]و اختلف في أصل اشتقاق اللفظ فقيل:

أ)– هي من **الميل** في قولهم:لغ فلان عن الصواب إذا مال منه قال ابن الأعرابي:"و اللغة أخذت من هذا لأن هؤلاء تكلموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين. "[22]

ب)– هي من **اللهج بالشيء** قال ابن فارس:" لغى بالأمر إذا لهج به،و يقال:إن اشتقاق اللغة منه أي :يلهج صاحبها بها."[23]

ج)–و قيل مصدرها:**اللغو و هو الطرح** فا لكلام لكثرة الحاجة إليه يرمى به.[24]

ب–اللغة اصطلاحا:ورد في تعريفها عدة تعار يف نذكر منها:

1– **تعريف ابن جني**(392هـ): اللغة "**أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم**."[25] تضمن التعريف أربع مسائل و هي:

*اللغة أصوات و هذا يعني طبيعة اللغة .

*يعبر بها ،و هذا يعني أن اللغة وسيلة للتواصل و التعبير أي لها وظيفة.

*كل قوم ،أي كل مجتمع وا لتعبير بالقوم عند القدامى.

*عن أغراضهم أي حاجاتهم.

2– **تعريف ابن حزم الأندلسي**(ت456هـ): هي"**ألفاظ يعبر بها عن المسميات و عن المعاني المراد إفهامها و لكل أمة لغتهم**. "[26]تضمن التعريف المسائل الآتية:

* اللغة ألفاظ ،و هذا المفهوم ضيق مقارنة بتعريف ابن جني الذي تقدم.

---

[19]– ينظر لسان العرب.ابن منظور. مادة: **لغو**

[20]– المصدر نفسه مادة: **لغو**

[21]– المصدر نفسه.

[22]– المصدر نفسه .

[23]– مقاييس اللغة. ابن فارس. ج256/5.

[24] –تاج العروس .مرتضى الزبيدي .مادة:**لغو**

[25]– الخصا ئص .أبو عثمان بن جني ج34/1

[26] –الإحكام في أصول الأحكام. ابن حزم الأند لسي. ج52/1.

*يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إحكامها، فيه إشارة إلى أن اللغة كاشفة عن المعاني المادية المحسوسة، و غير المحسوسة.

*اختلاف اللغة و لكل قوم لغتهم.

3- **تعريف مرتضى الزبيدي(ت1205هـ)** و جاء فيه: **" هي الكلام المصطلح عليه بين كل قبيل."**[27] تضمن التعريف مسألتين أساسيتين:

*اللغة هي كلام وقع عليه الاتفاق والاصطلاح،وهذا المعنى يرتبط بإحدى النظريات المفسرة لنشأة اللغة وهي نظرية التواضع والاصطلاح.

*لكل مجتمع أو قبيل لغة ،وهذا يعني أن اللغات والألسن تتعدد.

ومما تقدم من تعريفات حول المفهوم الاصطلاحي للغة يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

*تقارب هذه التعاريف في الدلالة على اللغة اصطلاحا و إن هناك اختلافا في التعبيرات و الألفاظ.

* يتضح من هذه التعاريف أنها تجعل اللغة الطريق الذي يصل به التفاهم بين اثنين عن طريق النطق بالألفاظ ،و هذا يعني أن أساس اللغة هي الألفاظ التي يتداولها القوم الذين اصطلحوا على وضعها.

*يغيب في هذه التعاريف مجتمعات الوقوف عند الأساليب التي تتميز بها اللغة العربيةمن حذف و اختصار ،واستعارة ،و كناية .....و غيرها مما يكون له أثر في الفهم عند التخاطب بين اثنين ،ولا سيما إذا ما علمنا أن اللغة العربية من أوسع اللغات في التفنن بهذه الأساليب و أمثالها بل إن الفصاحة والبيان يرتكزان عليها ،و هذا يعني أن كلام المخاطب قد لا يكفي في فهمه معرفة الألفاظ، بل يحتاج إلى معرفة الأسلوب الذي استعمله المتكلم . كحال قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ.﴾ هود/87. ذلك

أننا نجد قولهم:(إنك لأنت الرشيد الحليم) ظاهره مدح ،لأن الألفاظ المستعملة هي ألفاظ تدل على مدح ولكن السياق والمقام يدلان على أن هذا الأسلوب أسلوب تهكم و سخرية لأن القوم منكرون لما جاء به .يقول ابن جرير الطبري في تفسيره: "وأما قولهم لشعيب :(لأنت الحليم الرشيد) فإنهم أعداء الله قالوا ذلك له استهزاءا به ،و إنما سفهوه وجهلوه بهذا الكلام .وبما قلنا من ذلك قال أهل التأويل ."[28]ثم ذكر الرواية في ذلك عن ابن جريج(ت150 هـ)و ابن زيد(ت182هـ).[29]

---

[27] – تاج العروس .مرتضى الزبيدي .مادة:**لغو**

[28]– جامع البيان .ج12 /103 و ينظر. الصاحبي في فقه اللغة. ابن فارس. ص429-430.

[29] – جامع البيان ج103/12

ثالثا :مصطلح اللغة في كلام الصحابة والتابعين: استخدم الصحابة والتابعون مصطلح اللغة كما أثبت ذلك العلماء،و هذا حينما كانوا بصدد تفسير بعض الألفاظ فَنَصُّوا أنها بلغة بيئة لهجية معينة، كما يظهر مما قاله الضحاك بن مزاحم الهلالي(ت105 هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ القيامة/ 11 ،حيث قال :"يعني الجبل **بلغة حيمر**."[30] كما نجد التعبير عن اللفظ الذي جاء بغير لغة قريش أو لغة العرب بمصطلح (المعرب). كما ثبت عن بعض الصحابة التعبير عن اللغة بأنها(**الكلام**) ،و من ذلك ما ورد عن ابن عباس (ت68 هـ)في توجيه قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ المدثر/2 . قال: "من الإثم و هي في كلام العرب نقي الثياب " [31]، فكلام العرب هنا يعني لغتهم.

– الألفاظ المرادفة للفظ (لغة)في القرآن الكريم :

يطالعنا القرآن الكريم بما يقابل لفظ (اللغة) و هو مصطلح (اللسان) كما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ... ﴾إبراهيم/4 .و قد ذهب قتادة بن دعامة السدوسي (ت117 هـ)في تفسير لفظ اللسان بأنه "بلغة قومه" [32] ،كما ورد هذا اللفظ المرادف أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ الروم/22. .وكان الطبري قد فسره بقوله :"و اختلاف منطق ألسنتكم و لغاتكم".[33]كما ثبت هذا المرادف عند ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ .﴾العاديات/6.حيث قال :"الكنود بلساننا أهل البلد:الكفور." [34]و قال سعيد بن المسيب (ت94هـ) في توضيح لفظ الماعون من قوله تعالى :و ﴿ الماعون بلسان قريش: المال . ﴾[35].فهذه الأقوال وغيرها مما يدور في كتب التفسير وعلى ألسنة السلف من الصحابة والتابعين يؤكد حضور معنى لفظ(اللغة) بلفظ آخر وهو(اللسان).

رابعا :تعريف" التفسير اللغوي "كمركب:

بعد أن تم تحديد مفهوم لفظي التفسير و اللغة من الناحيتين اللغوية و الاصطلاحية يمكن أن نتصور مفهوما للتفسير اللغوي كمركب بأنه يقوم على: "**بيان معاني القرآن الكريم ودلالاته بما ورد في لسان العرب في ألفاظهم وأساليبهم**".

نلحظ في هذا التعريف جانبين مهمين:

الأول :"بيان معاني القرآن" ،و هذه العبارة تشمل جميع مصادر البيان المعول عليها في التفسير كالقرآن الكريم نفسه ،و السنة النبوية و أسباب النزول .....و غيرها مما يحتاج إليه للبيان والكشف عن دلالات القرآن الكريم.

---

[30] – المصدر السابق ج138/29.

[31] – الدر المنثور في التفسير بالمأثور. ج326/8.

[32] – جامع البيان ج18/13.

[33] – المصدر نفسه ج31/21.

[34] – الدر المنثور في التفسير بالمأثور. ج603/8 .

[35] – جامع البيان. ج319/30.

الثاني:"بما ورد في لسان العرب في ألفاظهم وأساليبهم " ،فهذا يتضمن وصف نوع البيان والكشف الذي وقع لتفسير القرآن الكريم و هو ما كان سبيله النقل عن أهل العربية،والاعتماد على ألفاظهم ،وأساليبهم مما عرفوه واصطلحوا عليه.

و بناء على ماتقدم، فإن ما عدا هذا البيان كالبيان بأسباب النزول و قصص الآيات الكريمات و غيرهما مما ليس طريقه معرفة اللغة يمكن إبعاده من ا لتفسير اللغوي، وإنما يحتاج إليه في التفسير بالمأثور بشكل أقوى. ولعل تأكيد المراد بما ورد في لسان العرب وحاجة المفسر إليه هو ما يمكن إدراكه من إشارة أبي إسحاق الشاطبي(ت790هـ)، حيث قال:"فإن قلنا إن القرآن نزل بلسان العرب و أنه عربي و أنه لا عجمة فيه فيعني أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة و أساليب معانيها و أنها فطرت عليه من لسانها تخاطب با لعام يراد به ظاهره و بالعام يراد به العام في وجه و الخاص في وجه ،أو بالعام يراد به الخاص، وظاهر ويراد به غير الظاهر وكل ذلك يعرف من أول الكلام أو وسطه أو آخره ...."[36]

وبعد أن عرفنا مفهوم التفسير اللغوي(لغة واصطلاحا)، حري بنا أن نقف عند أهمية ومكانة اللغة في تفسير كتاب الله تعالى، و معرفة النصوص النقلية والمأثورة المبينة لهذه الأهمية.

(ا.هـ)

[36]- الموافقات.أبو إسحاق الشاطبي. ج2/293-294

الدرس الثاني : أهمية اللغة في تفسير القرآن الكريم

مما لا شك فيه أن للغة العربية أهمية كبرى في تفسير كتاب الله عز و جل ،لا سيما و أن الله تعالى أنزل قرآنه بلسان عربي مبين ، وهو اللسان الذي نشأ عليه مُحَمَّد صلى الله عليه و سلم ،و نشأ عليه قومه ،و لهذا نجد الحق تبارك و تعالى حينما كلف نبيه بالبيان نص على أنه بلسان قومه، حيث قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾إبراهيم/4 .

*الأدلة النقلية الكاشفة عن أهمية اللغة في التفسير:

ثبت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة أن القرآن نزل بلسان عربي ، وأن عربيته صفة تلازمه ومن ذلك.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.﴾يوسف/2.

قاله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ...﴾طه/113.

قاله تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ.﴾الزمر/28.

قاله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.﴾الزخرف/3.

وبناء على ما تقدم فإنه من الضروري، بل الواجب أن نستعين بالعربية في فهم كتاب الله تعالى و تفسيره و الوقوف عند مراد الله، لأن معرفة معاني ألفاظ القرآن لا تؤخذ إلا منها ،كما أن هناك نصوص كثيرة وردت على ألسنة أئمة العربية وعلمائها تلزم المفسرالمعرفة باللغة العربية إذا أراد أن يقف عند مراد الله تعالى ومنها.

أ)-**قول أحمد بن فارس** (ت 395هـ):"إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن و السنة،و الفتيا بسبب ،حتى لا غناء لأحد منهم عنه ،وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب ، ورسول الله صلى الله عليه و سلم عربي ، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جل و عز وما في سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم من كل كلمة غريبة أو نظم لم يجد من العلم باللغة العربية بدا."[37]

ب)-ويقول **أبو إسحاق الشاطبي**:" لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين و هم العرب الذي نزل القرآن بلسا نهم ،فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة ،و إن لم يكن ثَمّ عُرف فلا يصح أن يجرى في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جار في المعاني و الألفاظ و الأساليب."[38]وهناك نصوص أخرى تؤكد هذه الأهمية

---

[37]- الصاحبي في فقه اللغة .ابن فارس. تحقيق :سيد أحمد صقر. ص 50.

[38] -الموافقات . ج56/2.

منها ما نسب للرسول عليه الصلاة و السلام فيما روي عنه أنه سئل ذات يوم "أي علم القرآن أفضل' فقال صلى الله عليه و سلم :'عربيته فلتمسوها في القرآن."[39]

ج)-"و ذكر **عبد الله بن عباس** (ت 68هـ) فيما يروى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال:" أعربو القرآن و التمسوا غرائبه."[40] ،و المراد بإعراب القرآن هو بيان معانيه و ألفاظه و ليس المقصود به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة ، و إن كان الإعراب النحوي -و لا شك -يترتب عليه معرفة المعنى كذلك لأنه كما يقول إمام اللغة أحمد بن فارس :"يميز المعاني و يوقف على أغراض المتكلمين."[41]

د)-ويروى **عن ابن عباس** أنه قال:'إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب."[42]

هـ)-وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال :'عليكم بديوانكم فإن فيه تفسير كتابكم و معاني كلامكم "[43]،

و)و **عن مجاهد بن جبر**(ت104هـ) أنه قال:"لا يحل لأحد يؤمن بالله و اليوم الأخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب".[44]

ي)-**وسئل الحسن البصري**(ت110هـ) عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن النطق و يقيم بها القراءة فقال:"حسن فتعلمها ،فإن الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها فيهلك فيها. "[45]

يتبين من هذه الأقوال وغيرها أنه من أراد معرفة كتاب الله تعالى ،و ما جاء في سنة النبي صلى الله عليه و سلم من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة العربية بدا ،و المراد بالعلم باللغة العربية ليس الإحاطة بكل ما قالته العرب ، لأن ذلك أمر غير مستطاع إلا للمعصوم عليه السلام ،بل إن الواجب من ذلك هو العلم بأصول اللغة و سنن العرب التي بأكثرها نزل القرآن الكريم ،و جاء في السنة النبوية المباركة ،فأما أن يكلف مثلا المحدث أو الفقيه بمعرفة أسماء السباع ،و ما ورد عن العرب بشأن أسماء الفيافي مثلا والأبنية الشاذة، و غريب التصريف و غيرها فلا حاجة إليه.و أخرج ابن جرير الطبري و غيره من طرق عدة عن ابن عباس أنه قال:"**التفسير أربعة أوجه**:وجه تعرفه العرب من كلامها ،و تفسير لا يعذر أحد

---

[39]- الإتقان في علوم القرآن. السيوطي ج111/1

[40]- المصدر نفسه ج149/1.

[41] - الصاحبي في فقه اللغة. ص 143.

[42] - الإتقان في علوم القرآن. ج157/1

[43] - نقلا عن كتاب الإعجاز البياني للقرآن. عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ . ص 274

[44] -الإتقان في علوم القرآن ج 231/2 .

[45]- المصدر نفسه ج231/2.

بجهالته ،و تفسير تعرفه العلماء ،وتفسير لا يعلمه إلا الله".[46] و قد وجد العلماء[47] في هذا التقسيم الذي ذكره ترجمان القرآن ابن عباس متسعا حدد معالم منهج تفسير كتاب الله ،و لاحظوا أن :

1-**الوجه الذي تعرفه العرب من كلامها**:هو ذاك الذي يرجع فيه إلى لسانهم فيما يتعلق باللغة العربية و علومها و فروعها من علم الإعراب و التصريف و الغريب....وغير ذلك. فما كان من تفسير يعود إلى هذا القسم فسبيل المفسر التوقف فيه على ما ورد في لسان العرب و من ليس من أهل العلم بحقائق اللغة العربية لا يحق له أن يقحم نفسه في تفسيره

2- **والوجه الذي لا يعدر أحد بجهالته**:فهو ذلك الوجه الذي تتبادر الأفهام إلى معرفته و إدراك معناه و مضمونه دون عناء أو مشقة ،و هذا في آيات الأمر و النهي و الحلال و الحرام و آيات العقيدة و التوحيد. قال العلامة بدر الدين الزركشي :" فهذا القسم لا يختلف حكمه و لا يلتبس تأويله إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ مُحَمَّد/19. و أنه لا شريك له في ألوهيته.....و يعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى: ﴿ ..فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المجادلة/ 13،و نحوها فيما يجب القيام به فهذا مما لا عناء في فهمه و لا إشكال."[48]

3- **والوجه الذي يقتصر علمه على العلماء**:فهو ما يتعلق بأمور الاجتهاد في تفسير الكتاب لاستنباط الأحكام الشرعية ،وهذا في الآيات التي تحتمل المعاني الكثيرة و الوجوه المتعددة .قال الزركشي: "و كل لفظ في الآيات احتمل معنيين فصاعدا فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه و على العلماء إعمال الشواهد و الدلائل و ليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه."[49]

4- **والوجه الذي لا يعلمه إلا الله**:هو كل ما جرى مجرى علم الغيب كالآيات المتضمنة لأخبار قيام الساعة و أحوال الآخرة ،و المتضمنة للغيبيات كالملائكة و الجن ،و كذلك الأحرف المتقطعة في أوائل السور، و الآيات المتشابهات التي لا مساغ لتفسير، و لا تأويل في الخوض فيها.

-إن المفسر لكتاب الله تعالى مطالب بأن يكون على علم بقدر كاف من هذه اللغة العربية و من ذلك أن تكون معرفته بـ:

---

[46] -جامع البيان للطبري –المقدمة- ج1

[47] - ينظر مثلا البرهان في علوم القرآن .بدر الدين الزركشي ج13/1.

[48] - المصدر السابق. ج14/2.

[49] -المصدر نفسه ج2/ 14.

-الألفاظ العربية و دلالتها

- معرفة المستعمل و المهمل منها

- معرفة المولد من الألفاظ

- معرفة المصنوع من كلام العرب

- معرفة اختلاف اللغات(اللهجات)و المذموم منها

- معرفة الشواهد العربية

-معرفة الظواهر الدلالية من(اشتراك و تضاد و ترادف)

- معرفة الخاص و العام

- المطلق و المقيد

-معرفة ما يتعلق بعلم البيان و المعاني والبديع و علم التصريف و غيرها...

***نقط الإعراب ونقط الإعجام مظهرا اهتمام المسلمين بلغة القرآن الكريم**:يعد نقط الإعراب و نقط الإعجام مظهرين بارزين من مظاهر اهتمام المسلمين و أهل العربية باللغة العربية في فهم وتدبر القرآن الكريم و تفسيره و توضيحه.فقد رأى المسلمون بأن هناك ضرورة للحفاظ على لغة التنزيل من تسرب اللحن إليها ، بعد أن فشا هذا الأخير على الألسنة لاسيما عند طبقة المستعربين الوافدين على البيئة العربية بعد دخولهم الإسلام. فتصدى زياد بن أبيه(ت67 هـ)- و كان يومئذ واليا على العراق- للقيام بهذه المهمة فطلب من أبي الأسود الدؤلي (ت69هـ)أن يعمل على ضبط القرآن، فاعتذر أبو الأسود بادئ الأمر لما كان بينه و بين زياد من جفاء،ثم سرعان ما وافق على القيام بماعهد إليه.[50] و هكذا تم لأبي الأسود وضع نقط الإعراب للقرآن الكريم متخذا لذلك كاتبا فطنا حاذقا من بني عبد القيس حيث استدعاه وأجلسه بين يديه ثم قال له: إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه و إن ضممت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف و إن كسرت شفتي فاجعل النقطة من تحت الحرف فإن اتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين ففعل .... [51]

و ابتدأ أبو الأسود المصحف حتى أتى آخره بينما كان الكاتب يضع النقط بصبغ يخالف لونه المداد الذي كتبت به الآيات القرآنية .و سمي هذا العمل بـ (رسم العربية).و أشاع تلاميذ أبي الأسود الدؤلي من قراء القرآن هذا العمل و هم: نصر بن عاصم الليثي(ت89هـ)، وعبد الرحمان بن هرمز(ت117هـ)، ويحي بن عمر(ت129هـ)،وعنبسةالفيل(ت100هـ)،وميمون الأقرن(ت100هـ)،فهؤلاء نقطوا المصحف و أخذ عنهم النقط و حفظ و ضبط و قيد و عمل به و اتبع فيه سنتهم و اقتدي بمذاهبهم.

---

[50]- هناك اختلاف في تعين من قام بتكليف أبي الأسود الدؤلي للقيام بهذه العملية و هذه إحدى الروايات.تراجع كتب الطبقات والأخبار.

[51] -معجم الأدباء .ياقوت الحموي ج1466/4.

و لما استتب الأمر لهذا النقط في قراءة الناس للمصحف برزت مشكلة جديدة للمسلمين –وعلى الأخص من غيرالعرب– في قراءة القرآن و هي مشكلة التمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم ،ذلك أن السليقة لم تعد تسعف القارئ في التميز بين المعجمة و المهملة. فتصدى الحجاج بن يوسف الثقفي و كان يومئذ واليا على العراق للقيام بهذه المهمة فندب لذلك –على خلاف في الروايات– نصر بن عاصم الليثي(ت89هـ)تلميذ أبي الأسود الدؤلي ، و طلب منه أن يعمل على حل هذا الإشكال فوضع نقطا جديدة على حروف المصحف يميز بين الأحرف المتشابهة في الرسم منسقا بين مجموعات الحروف ناقطا بعضها من فوق و بعضها من تحت حتى استكملت الحروف إعجامها و سمي هذا النقط بـ (نقط الإعجام).

و بنقط أبي الأسود الإعرابي، و نقط نصر بن عاصم الليثي الإعجامي استطاع المسلمون أن يحصنوا القرآن الكريم بحصن منيع من اللحن و الخطأ.[52]

وبهذه الأدلة النقلية من القرآن الكريم نفسه ،ومن الأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين ومما ثبت عمليا ومظهريا في عملية نقط الإعراب ونقط الإعجام تتأكد أهمية العلم بالعربية وفقهها عند عموم الدارسين لكتاب الله تعالى ولاسيما الذين يتصدون لتفسيره والمستنبطين لأحكامه وحكمه.

(ا.هـ)

[52] –الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري.مُحَمَّد حسين آل يا سن .ص15.

الدرس الثالث : التفسير اللغوي للقرآن الكريم عند السلف(الصحابة والتابعون) .

تمهيد:

قبل الشروع في الحديث عن التفسير اللغوي عند صحابة الرسول ﷺو التابعين من بعدهم لا بد من معرفة هل نجد في تفسير الرسول ﷺ للقرآن الكريم ما اصطلح عليه بالتفسير اللغوي ؟

يبدو من تتبع كتب الحديث النبوي الشريف والوقوف عند ما اصطلح عليه بـ (كتب) و (أ بواب)التفسير في كتب الحديث الصحاح والسنن ،مثل (صحيح البخاري) و(صحيح مسلم)،و (سنن الترميذي) ،و(النسائي) ،و(مستدرك الحاكم)..... و غيرها يتبين لنا شأن التفسير اللغوي عنده ﷺ . فالنبي عليه الصلاة و السلام لم يفسر من ألفاظ القرآن– بل من القرآن كله – لصحابته إلا بقدر ما كانوا بحاجة إليه ،سواء أكان هذا التفسير تفسيرا عاما مرادا به المعنى الذي تدور حوله الآية، أم كان بيانا لفظيا لبعض كلمات القرآن هنا وهناك مما ثبت نصا صحيحا منسوبا إليه عليه الصلاة والسلام.

ومن الثابت في كتب السيرة أن ماكان الصحابة ﷺ بحاجة إليه شيئ قليل،ونزر يسير لاعتبارات كثيرة يتصدرها كونهم ﷺ مؤهلين لفهم مراد الله تعالى ،لأن القرآن الكريم نزل بلغتهم و أساليبهم، وعلى منوال ماينسجون كلامهم ويتواصلون به على مستوى اللفظ والتركيب والدلالة، والبلاغة والبيان. وحين تشكل عليهم ألفاظ من القرآن الكريم ،أو بعض الآيات والتراكيب فإنهم كانوا يتوجهون إلى الرسول ﷺ فيبين لهم ويوجههم إلى دلالته ومراده تعالى ذلك لأنه مكلف من الله تعالى بالبيان والتفسير ، سواء أكان هذا البيان متعلقا بلفظ في الآية أو الآية كلها. واكتفي ههنا بإيراد مثال توضيحي واحد لما ثبت عنه ﷺ من بيان لفظي لصحابته عند السؤال وعند الحاجة، وإلا فإن الأمثلة على ذلك كثيرة يمكن الرجوع إليها في كتب الصحاح والسنن:

***تفسيره ﷺ الخيط الأبيض والأسود** في قوله تعالى : ﴿ ...**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**...﴾ **البقرة/187** ، وهذاحينما وقع الإشكال فيهما **لعدي بن حاتم**، ففسره الرسول بأن ذلك هو بياض النهار و سواد الليل [53].و هذا المسلك التفسيري يكشف أن الصحابة كانوا يأتون القرآن الكريم على حدما يفهمونه من لغتهم لوضوح ذلك عندهم،فإن حدث عندهم إشكال دلالي إزاء لفظ معين لجأوا إلى الرسول ﷺ و سألوه عنه، وهذا ما يتضح فيما حدث مع عدي بن حاتم كما تقدم . و يقوي هذا الحكم أي اعتماد الصحابةعلى أنفسهم وعلى عربيتهم في فهم مراد الله تعالى ،

1–حديث عبد الله بن مسعود(ت35هـ) حيث قال: " لما نزلت : ﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ **الأنعام/82**، قلنا:يا رسول الله و أينا لم يظلم نفسه ؟ قال: ليس كما تقولون.

---

[53] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن .تحقيق آل شاكر.ج511/3(الهامش)

لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بشرك. ألم تستمعوا إلى قول لقمان لابنه:﴿ **يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ **لقمان**/ 13[54].

ففي هذا الحديث والخبر دلالة على أن الصحابة كانوا يعتمدون في فهم القرآن الكريم الذي نزل بلغتهم على ما يفهمونه ، فإن حدث الإشكال في شيء منه عادوا إلى الرسول ﷺ.

2-ما وقع بين الصحابة ﷺ من اختلاف في تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم التي لها أكثر من دلالة لغوية ،حيث حملها بعضهم على معنى، و حملها آخرون على معنى آخر. ومن أمثلة ذلك:

أ)-اختلافهم في تفسير لفظ(**القرء**) في قوله تعالى: ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** ... ﴾ **البقرة/228** .فقد ورد في معنى لفظ (**القرء**) قولان كلاهما له أصل عند أهل العربية وهما:

الأول :بمعنى (**الحيض**) قاله عمر بن الخطاب و أبي بن كعب ،و عبد الله بن مسعود، و علي بن أبي طالب ،و أبو موسى الأشعري ،و عبد الله بن عباس.

الثاني: معنى(الطهر) قاله: زيد بن ثابت ،و عائشة ،و معاوية بن أبي سفيان و عبد الله بن عمر.[55]

فهذا الاختلاف يكشف اجتهاد الصحابة ﷺ ،كما يكشف من وجه آخر، أن الرسول لم يفصل في دلالة اللفظ عندهم، و من هنا نجدهم عادوا إلى لغة العرب كاشفين عن الدلالة المناسبة لمراد الله تعالى.والظاهرأن الاجتهاد في التفسير في جيل التابعين و أتباعهم استمر كذلك باعتماد اللغة مصدرا لذلك، حيث نجدهم في مواضع كثيرة مجتهدين و مختلفين في توجيه دلالة ألفاظ القرآن .

ب-)اختلافهم في توجيه دلالة لفظ (**عسعس**) في قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ**﴾ **التكوير/17** ،حيث فسر اللفظ تفسيرين :

الأول: بمعنى(و الليل إذا أدبر) قاله: علي بن أبي طالب، و ابن عباس، و الضحاك بن مزاحم (ت105هـ)، و قتادة بن دعامة السدوسي(ت117هـ) ،و ابن زيد(ت182هـ)

الثاني: بمعنى (والليل إذا أقبل) قاله:مجاهد بن جبر،والحسن البصري ،و عطية العوفي [56] .

يتضح مما تقدم أن السلف الصالح من صحابة الرسول صلى الله عليه و سلم والتابعين من بعدهم كانوا يجتهدون في الكشف عن دلالة ألفاظ القرآن الكريم ،و أن الرسول ﷺ لم يكن ليفسر كل ما ورد من ألفاظ أشكلت عليهم إلا بقدر الحاجة وماكانوا يسألون عنه.

---

[54] - أخرجه البخاري المصدر السابق .ج448/6

[55] -المصدر نفسه.ج500/4-501.

[56] - المصدر نفسه. ج160/24-160

-مصادر التفسير(اللغوي) عند الصحابة والتابعين.

يبدو و من تتبع الأقوال الواردة عن السلف الصالح أنهم كانوا يعتمدون في بيان القرآن عامة على جملة مصادر يمكن تصنيفها صنفين اثنين وهي: مصادر نقلية و أخرى استدلالية .

أولا: المصادر النقلية و تشمل ما يأتي:

أ- ما روي عن الرسول ﷺ و قد ذكرت أن هذه المادة المتعلقة بالتفسيرعموما، والبيان اللفظي.و ماثبت عنه ههنا تحتفظ به كتب الصحاح والسنن.

ب-ما كان يرويه بعض السلف عن بعض و منه سؤال عبد الله بن عباس لعمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا في قوله تعالى: ﴿ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا...﴾ التحريم/4**[57].

جـ-ما كانوا يعرفونه من أحوال من نزل فيهم الخطاب القرآني من العرب و أهل الكتاب اليهود والنصارى.

د-**أسباب النزول** : وهذا المصدر و الذي قبله يشتركان في مثال واحد، فيكون سبب النزول من أحوال ما نزل فيهم الخطاب كسبب نزول الآية﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِاعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا..﴾ البقرة/158** .و ذلك بسبب تحرج الأنصار من الطواف بهما على أنهما من أمر الجاهلية .[58]

هـ- **ما روي عن أهل الكتاب من اليهود و النصارى** ،و هو ما اصطلح عليه بالإسرائيليات و له أمثلة كثيرة . و قد عرف عبد الله ابن عباس بالنقل عنهم في مسائل عديدة، علما أن ابن عباس ومدرسة التابعين بمكة كانت لا تتحرج في النقل عن المرويات الإسرائيلية وعن أعلامها.

ويضاف إليها ما عرف بعادات العرب في الجاهلية التي سادت في المجتمع العربي الجاهلي وصارت عادة تعارف عليها المجتمع العربي بلا خلاف ،فهي كثيرا ماتتحكم في الكشف عن دلالات نصوص الكتاب ، وعليها المعتمد في البيان.

تلكم هي المصادر التي اعتمدها صحابة الرسول و التابعون من بعدهم في تفسير كتاب الله عموما و تفسيره تفسيرا لفظيا على وجه الخصوص.

ثانيا: المصادر الاستدلالية:ويراد بالمصدر الاستدلالي ماكان للصحابي أو التابعي فيه اجتهاد وهو لاينفك يعتمد على النقل أيضا.و الناظر في التفسير بطريق اللغة عند السلف يجد أن هذا المصدر ينسب من وجه إلى النقل، كما ينسب من وجه آخر إلى الاستدلال،وبيان ذلك أنه إن كان التفسير المعتمد على اللغة لا يحتمل

---

[57] --ينظر فتح الباري. ابن حجر العسقلاني. ج525/8

[58] - المصدر نفسة ج24/8-25

إلا معنى واحدا فإنه في هذه الحالة يلحق بالمصادر النقلية لعدم وجود احتمال آخر في هذا يحتاج إلى استدلال. و أما إذا كان اللفظ يحتمل أكثر من معنى، كشأن المشترك اللفظي، فإن حمله على أحد الاحتمالات الواردة يقرب هذا التفسير إلى الرأي و الاجتهاد ،و من ثمة يكون أصلا في الاستدلال .

– و لتوضيح هذه المسالة أكثر نضرب أمثلة بما ثبت في كتاب الله تعالى لهذين الوجهين:

–الأول:في توجيه قوله تعالى:﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ **الكوثر/3** .ذكرت كتب التفسير بالمأثور أن المعنى واحد، بحيث لم يقع خلاف في تفسير لفظ(شانئك)، و أنه بمعنى: (مبغضك).هذا المعنى هو الوارد والثابت في لغة العرب، و ليس له احتمال آخر مثلما ينقله لنا ابن فارس: في معجمه مقاييس اللغة فيقول : "الشين و النون و الهمزة أحرف تدل على البِغْضة و التجنب للشيء. "[59]

– والثاني في توجيه لفظ (الهيم) من قوله تعالى: ﴿ **فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ** ﴾**الواقعة/ 55** وقد ثبت في جامع البيان تفسير اللفظ بمعنيين:

المعنى الأول:(الهيم) هي الإبل العطاش .ذكر هذا المعنى ابن عباس ومجاهد بن جبر، و عكرمة مولى ابن عباس ،و الضحاك، وقتادة [60]

المعنى الثاني: (الهيم) هي الرّمل ،وذكر هذا المعنى سفيان الثوري[61] .

و لعل سبب الاختلاف في تحديد مدلول اللفظ،تفسيره هو اعتبار اللفظ من المشترك اللفظي، وهو متعلق بلغة العرب ،وعليه فإن اختيار المفسر لأحد المعنيين المحتملين يكون اجتهادا منه وترجيحا، فيدخل حينئذ ضمن دائرة الاستدلال.

وخلاصة القول ، فإن المصادر التي اعتمد عليها السلف في تفسير القرآن الكريم عامة وتفسيره تفسيرا لغويا على وجه الخصوص مرتبطة بالنقل وبالاستدلال أيضا، وحسبنا ما نجده في كتب التفسير ولاسيما كتب التفسير اللغوي.

(اهـ)

---

[59] – مقاييس اللغة. ج217/3 ،و لسان العرب **مادة: شنأ**

[60] – جامع البيان .تحقيق التركي. ج 343/22.

[61] –المصدر نفسه . ج344/22

الدرس الرابع : طريقة الصحابة والتابعين في تفسير القرآن الكريم تفسيرا لغويا

يتبين من تتبع تفسير الصحابة والتابعين في كتب التفسير بالمأثور وغيرها أن التفسير اللغوي، أو ما يمكن الاصطلاح عليه **بـ "البيان اللفظي"** لما جاء من غريب لفظ أومشكل في كتاب الله تعالى هو إحد ى الطرق التي اعتمدت في التفسير والكشف عن مراد الله تعالى.

والمراد **بالبيان اللفظي** هنا هو تفسير اللفظ بما يطابقه من لفظ يدل عليه في لغة العرب وكلامها . وإلى جانب هذا البيانت ظهر نوع من التفسير اصطلح عليه بـ "**التفسير بدلالة السياق** "،وهذا النوع من التفسيريكثر وجوده وارتباطه بكتب اطلق عليها اسم **"الوجوه و النظائر" أو"الأشباه و النظائر.** " وهذا تفصيل القول في النوع الأول.

* النوع الأول: البيان اللفظي أو(التفسير اللفظي) :

من الضروري أولا التمييز بين **التفسير اللغوي للقرآن** ،و هو الذي يقف فيه المفسر عند الغريب المتعلق بمستويات اللغة في جانبها النحوي و الصرفي و الصوتي و المعجمي الدلالي... ،و بين **التفسير اللفظي** الذي يقوم على بيان ما يقابل اللفظ من دلالة لها نظير في كلام العرب.

فالكلام هنا يتعلق بالبيان اللفظي للقرآن الكريم وهو لا يخرج بأي حال من الأحوال عن تفسير القرآن الكريم ولو كان يدور حول ألفاظ القرآن الكريم لاغير.

إن أسلوب التفسير اللفظي للقرآن الكريم هو أسلوب يقوم على بيان اللفظ الغريب بحيث يحصل فيه التطابق مع اللفظ المفسَّر ،و يلجأ فيه المفسر إلى تقوية ما يذهب إليه من معنى إلى الاستشهاد عليه بكلام العرب .

و هذا الأسلوب التفسيري احتل مكانة كبرى في تفسير الصحابة والتابعين في كتب التفسير بالمأثور ولا سيما تفسير ابن جرير الطبري ،وقد اتخذ هذا الأسلوب طريقتين:

الأولى : يذكر فيها الصحابي أو التابعي معنى اللفظة في اللغة دون أن يستشهد عليها بكلام العرب.

و يعد هذا المسلك هو الغالب فيما ورد عن السلف من تفسير **وبيان لفظي** ،و من أمثلته:

المثال الأول:ما ذكره أبو جعفر الطبري في "جامع البيان عن تأويل القرآن"عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سئل عن قول الله عز و جل : ﴿ **وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**﴾ **التكوير**/7 .فقال ﷺ: "يقرن بين الرجل الصالح

مع الصالح في الجنة و بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار". [62] و ما ذكره عمر بن الخطاب من تفسير لفظي لكلمة (يقرن) هو عينه الذي ثبت عند أصحاب كتب المعاجم الذين نبهوا على أصل معنى اللفظ ، يقول ابن فارس في معجمه :"الزاء و الواو و الجيم أصل يدل على مقارنة شيء لشيء"[63].

المثال الثاني: ثبت عن عبد الله بن عباس أنه قال في تفسير كلمة (دِهاقا) من قوله تعالى: ﴿ **وَكَأْسًا دِهَاقًا** ﴾ **النبأ/34** أنها بمعنى (ملأى).[64] و هذا المعنى ذكره أيضا مجاهد بن جبر، و الحسن البصري، و قتادة بن دعامة السدوسي و ابن زيد [65] و حين نعود إلى كتب المعاجم نجد أن أصل معنى هذه اللفظة يدل على ما فسر به ابن عباس لفظ (دهاقا) فيما ذكره ابن جرير الطبري في جامعه. ويذكر ابن فارس أن :" الدال و الهاء و القاف يدل على امتلاء في مجيء و ذهاب اضطراب. يقال أدهقت الكأس ملأتها . قال الله تعالى: ﴿ **وَكَأْسًا دِهَاقًا**﴾ **النبأ/34**". [66]

المثال الثالث: ذكر ابن جرير الطبري نقلا عن ابن عباس في توضيح لفظ (لا وزر) من قوله تعالى: ﴿ **كَلَّا لَا وَزَرَ** ﴾ **القيامة/11**. فقال "لا حرز" و في رواية "لا حصن و لا ملجا" . [67]

و معنى الوزر عند الطبري هو الشيء الذي يلجأ إليه الإنسان من حصن أو جبل أو معقل . [68] و هذا التفسير الذي ذكره ابن عباس ورد أيضا عند بعض التابعين كسعيد بن جبير، و مجاهد بن جبر، و الضحاك، و الحسن البصري ،و قتادة بن دعامة السدوسي و ابن زيد. [69]

و بالعودة إلى كتب المعاجم نجد أن ما ذهب إليه السلف مثبت عند ابن فارس حيث قال :"الواو و الزاي و الراء أصلان صحيحان" أحدهما :الملجأ أو الآخر: الثقل في الشيء.الأول: **الوزر**: الملجأ .قال تعالى: ﴿**كَلَّا لَا وَزَرَ** ﴾ **القيامة/ 11** .....[70]

الثانية : يذكر فيها الصاحبي أو التابعي معنى اللفظ مستشهدا عليه بما جاء في لغة العرب:

---

[62] – جامع البيان ج69/30

[63] – مقاييس اللغة. ج35/3.

[64] ––جامع البيان ج18/30–19.

[65] – المصدر نفسه. ج19/30.

[66] – مقاييس اللغة . ج307/2

[67] – جامع البيان. ج181/29.

[68] –المصدر نفسه ج181/29

[69] – المصدر نفسه ج182/29–183.

[70] – مقاييس اللغة. ج108/6.

و هـذه الطريقـة بـدورها نوعـان: **أ)–نـوع يعتمـد فيـه علـى الشـعر العـربي.ب)– نـوع آخـر يعتمـد فيـه علـى النثـر**: وذلـك بأن يـذكر الصـحابي أو التـابعي إمـا (–لغـة القبيلـة الـتي نـزل بلفظهـا القـرآن الكـريم) ،أو(–منثـور كلام العرب دون أن ينص على لغة قبيلة بعينها).وهذا تمثيل للنوعين.

أ)–النوع الأول : تدعيم التفسير اللفظي بالشاهد الشعري.

و هـذا القسـم اشـتهر بـه الصـحابي الجليـل عبـد الله بـن عبـاس فيمـا عـرف في بعـض الكتـب والمصـادر **بسـؤالات نافـع بـن الأزرق**، حيـث كـان ابـن عبـاس يفسـر مـا أشـكل مـن ألفـاظ وغريـب لفـظ القـرآن الكـريم ثم يسـتدل علـى تفسـيره اللفظـي أو اللغـوي هـذا بمـا كـان يحفظـه مـن الشـعر العـربي في الجاهليـة أو الإسـلام تـدعيما لمـا ذكـره مـن دلالـة وفي هـذا المسـلك مـن الشـرح والبيـان إثبـات وزيادة تأكيـد بأن القـرآن نـزل بلغـة العـرب، و مـن أمثلتـه مـا يأتي:

المثـال الأول: مـا ذكـره بعـض التـابعين كعكرمـة عـن عبـد الله بـن عبـاس حـين سـئل عـن قـول الله تعـالى: ﴿ **وَثِيَابَـكَ فَطَهِّـرْ** ﴾ **المـدثر /4**. فقـال عبـد الله بـن عبـاس شـارحا :"لا تلبسـها علـى غـدرة و لا فجـرة ، ثم قـال ألا تسمعون **قول غيلان بن سلمه: إني بحمد الله لا ثوب فاجر ***لبست و لا من غدرة أتقنع**. "[71]

–و مـا انتهـى إليـه بـن عبـاس مـن توجيـه لفظـي دلالي أثبتـه أبـو زكـريا الفـراء (ت207هـ) في كتابـه:" معـاني القـرآن" ،في قوله "لا تكن غادرا فتدنس ثيابك ،فإن الغادر دنس الثياب."[72]

المثـال الثـاني: ذكـره التـابعي عكرمـة أيضـا عـن ابـن عبـاس في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿ **فَإِنَّمَـا هِـيَ زَجْـرَةٌ وَاحِـدَةٌ، فَـإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ.** ﴾**النازعات/13–14**.فقال "على الأرض". ثم أورد شعراعن أمية بن أبي الصلت .

في قوله : **"عندنا صيد بحر وصيد ساهرة."**[73]

.و هـذا المعـنى الـذي ذكـره ابـن جريـر الطـبري في تفسـيره عـن ابـن عبـاس ،أثبتـه أهـل اللغـة مثلمـا ذهـب إليـه ابـن فـارس حيـث قـال : "و يقـال لـلأرض :السـاهرة، و سميـت بـذلك لأن عملهـا في النبـت دائمـا لـيلا و نهـارا ،و لـذلك يقـال :خـير المـال عـين خـرَّارة في أرض خـوَّاره تسـهر إذا نمـت و تشـهد إذا غبـت" و قـال أميـة بـن أبي الصلت :

و فيها لَحْم ساهرةٍ و بَحرٍ ***و ما فَاهُوا به لَهُم مُقِيمُ.

---

[71] – جامع البيان. ج145/39

[72] – معاني القرآن . أبو زكريا الفراء.ج220/3

[73] – جامع البيان. ج30/ 36

و قال آخر يذكر حمير الوحش : **يرتَدْن ساهرةً كأن عميمها***و جَمِيمها أسدافُ ليلٍ مُظلمِ.**

ثم صارت الساهرة اسما لكل أرض.قال الله تعالى : ﴿ **فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ** ﴾ **النازعات /13-14** ."[74]

المثال الثالث: ثبت أن عكرمة مولى بن عباس سئل عن لفظ الزنيم فقال: هو ولد الزنا وتمثل بقول الشاعر: **زنيمٌ ليس يُعرف مَن أبوه*** بغيٌّ الأم ذو حسب لئيمُ.**" [75]

وهذا المعنى ورد في مقاييس اللغة لابن فارس، حيث قال:"الزاي و النون و الميم أصل واحد يدل على تعلق شيء بشيء و من ذلك الزنيم و هو الدَّعِيُّ... قال الخطيم التميمي:

زنيمٌ تداعاه الرِّجال زيادةً*كما زِيدَ في عرْض الأديمِ الأكارع."76**

المثال الرابع:ذكر السدي في تفسير كلمة (حجر)من قوله تعالى :﴿ **هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ**﴾ **الفجر/5**.قال:" لذي لب" .قال الحارث بن ثعلبة :

وكيف رجائي أن تَثوبَ و إنما*يُرَجَّى من الفتيان من كان ذا حِجْرِ.**" [77]

و ما ذهب إليه السدي من معنى ذكره ابن فارس في مقاييسه فقال: "و العقل يسمى حِجْرا لأنه يمنع من إتيان ما لا ينبغي، كما سمي عقلا تشبيها له بالعِقَال، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ الفجر/5"[78]

النوع الثاني : تدعيم التفسير اللفظي بالنثر و له وجهان:

الوجه الأول : يوظف فيها الصحابي أو التابعي لغة القبيلة التي نزل بلفظها القرآن و من أمثلة ذلك :

1-ما رواه أبو الصلت الثقفي أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ﴿ **وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ...**﴾ **الأنعام/125** بنصب الراء. قال: و قرأ بعض من عنده من أصحاب الرسول (ضيقا حَرِجًا) [79]...قال عمر أبغوني رجلا من كنانة واجعلوه راعي غنم وليكن مُدْلِجِيا (أي من بني مدلج و هي قبيلة من كنانة) ،قال الراوي فأتوا به ،فقال عمر يا فتى مالحرجة؟ قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين

---

[74] - مقاييس اللغة. ج3/108-109.

[75] -إيضاح الوقف والابتداء .أبوي بكر بن الأ نباري. ج1/64.

[76] - مقاييس اللغة .ج3/29.

[77] - إيضاح الوقف والابتداء. ج1/75.

[78] - مقاييس اللغة ج2/138.

[79] - بكسر الراء قراءة نافع و عاصم وقرأ الباقون بالفتح .ينظر. إعراب القراءات السبع وعللها. ابن خالويه ج1/169.

الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء. قال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير." [80]

2-ما ورد عن عكرمة عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى:﴿ **وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ**﴾ **النجم**/61، قال :"هو الغناء كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا و لعبوا و هي لغة أهل اليمن .قال اليماني اسْمُدْ."[81]

و هذا المعنى نقله علماء اللغة فيما ذكره مرتضى الزبيدي في معجمه تاج العروس من جواهر القاموس، حيث قال :"سمد سمودا: غَنَّى. قال ثعلب :وهي قليلة. وقوله عز وجل: ﴿ **وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ**﴾ **النجم/61** . فُسِّر بالغناء .وروي عن ابن عباس أنه قال: السمود الغناء بلغة حمير".[82] و في أساس البلاغة للزمخشري ذكرقوله: "...يقال للقينة اسمدينا، أي ألهينا بالغناء".[83] و ذكر ابن دريد في الجمهرة (ت321هـ) "و السامد اللاهي سمد يسمد سمودا لغة يمانية، يقولون للقينة اسمدينا أي ألهينا."[84]

3- روي أن ابن عباس حينما "أبصر رجلا يسوق بقرة فقال :من بعل هذه ?فدعاه فقال:ممن أنت ? قال من أهل اليمن. فقال: هي لغة﴿ **أَتَدْعُونَ بَعْلًا**﴾ **الصافات**/ 125 ،أي ربا" [85]

فمعنى كلمة بعل: هي رب، و هذا المعنى نفسه أثبتته كتب اللغة، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور: " وبعلٌ والبعلُ جميعا صنم سمي بذلك لعبادتهم إياه كأنه ربهم .وقوله عز وجل: ﴿ **أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ**﴾**الصافات/125** .قيل معناه:أتدعون ربا ،و قيل: هو صنم يقال:أنا بعل هذا الشيء؛ أي ربه ومالكه، كأنه قال: أتدعون ربا سوى الله."[86] وذكر صاحب اللسان أنه ورد عن ابن عباس أنه "... مَرَّ برجلين يختصمان في ناقة وأحدهما يقول: أنا بعلها ،أي مالكها و ربها .وقولهم: من بعل هذه الناقة? أي: من ربها وصاحبها."[87]

4- ورد في تفسير لفظ(الماعون) عند كل من سعيد بن المسيب(ت95هـ)،والإمام الزهري(ت124هـ) من قوله تعالى : ﴿ **وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ.**﴾ **الماعون/7.** ، قولهم:"الماعون بلسان قريش المال."[88]

---

[80] – جامع البيان. تحقيق آل شاكر .ج104/12 .

[81] – المصدر نفسه. ج82/27.

[82] –تاج العروس .مادة :**سمد**

[83] – أساس البلاغة .الزمخشري .مادة:**سمد**

[84] – جمهرة اللغة. ج648/2

[85] – الدر المنثور في التفسير بالمأثور. ج458/12.

[86] – لسان العرب . مادة: **بعل**

[87] – المصدر نفسه .مادة :**بعل**

[88] – جامع البيان . تحقيق التركي ج687/24.

وبالعودة إلى كتب اللغة نجد أن مادة (مَعَنَ) تحمل هذا المعنى الذي ذكره سعيد بن المسيب و الزهري وإن لم تذكر هذه كتب صراحة أن الماعون هو المال .فقد ورد أن المِعْن : القليل من المال والكثير من المال. ومنه قولهم:أمعن الرجل :إذا كثر ماله، وأمعن : إذا قَلَّ ماله ،وهومن الأضداد .كما ذُكِرَ أن الماعون بمعنى الزكاة أيضا وهي راجعة إلى معنى المال وإن لم تكن نصا فيه [89] .

الوجه الثاني:وهي أن يعود الصحابي أو التابعي إلى منثور كلام العرب دون أن ينص على لغة قبيلة بعينها، و إنما يكتفي بالقول بأنها من لغة العرب ومثاله:

1- ما وردعن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿ **خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ **المطففين/26**. حيث قال:"إنه ليس بالخاتم الذي يختم أما سمعتهم المرأة من نسائكم تقول:طيب كذا وكذا خِلْطُهُ مِسْكٌ."[90]

2- ماورد عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**. ﴾**المدثر/4** قال:"من الإثم ثم قال: نقي الثياب في كلام العرب." [91] وفي رواية أخرى عن قتادة قال:"طهرها من المعاصي .فكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث و لم يف بعهده إنه لدنس الثياب وإذا وَفَّ وأصلح قالوا: مُطَهَّرُ الثياب."[92]فالمراد بقول ابن عباس (نقي الثياب):أن فعله محمود. وهذا المعنى له ثبوت في كتب اللغة. قال الأزهري في معجمه تهذيب اللغة:"فلان دنس الثياب إذا كان خبيث الفعل والمذهب خبيث العرض..." [93]

3-وما ورد عن ابن عباس أنه قال :كنت لاأدري مافاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما :أنا فطرتهما ؛يعني: أنا ابتدأتها." و هذا المعنى ثبت عند بعض أئمة اللغة ؛قال ابن الأعرابي : أنا أول من فطر هذا، أي ابتدأه." [94]

4-وما ذكره عكرمة في توجيه قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**.﴾**القلم/42** .وهو يريد لفظ(ساق)فقال:"إن العرب إذا اشتد القتال فيهم والحرب وعظم الأمر فيهم ،قالوا لشدة ذلك:قد كشفت الحرب عن ساق، فذكر الله شدة ذلك اليوم لما يعرفون."[95]

---

[89] - ينظر. لسان العرب، مادة:**معن**، و تاج العروس .مادة:**معن**

[90] - جامع البيان. تحقيق التركي ج216/24 .

[91] - المصدر نفسه .ج406/23

[92] - المصدر نفسه. ج407/23

[93] - ينظر تهذيب اللغة.ج154/15.

[94] -ينظر.تهذيب اللغة.ج316/13،ولسان العرب، مادة:**فطر**، وتاج العروس مادة:**فطر**

[95] - الدر المنثور .ج646/14.

5--ماثبت عن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿... **قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾ **مريم/24**. أنه قال: "والسري يعني عيسى نفسه"[96]،وذكر الطبري أن السّري معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير ".[97]

وما ذهب إليه الحسن البصري ، وكشف عنه الطبري ورد في كتب اللغة[98].

فهذه بعض الأمثلة بما ثبت عن السلف من تفسير لفظي للقرآن الكريم ،وفيما عرف عنهم بتفسير اللفظ بما يقابله من معنى مطابق له، وهي أمثلة تؤكد حضور البيان اللفظي بصوره المختلفة وتثبت وجود منهج أو طريقة تبناها السلف من الصحابة والتابعين في التعامل مع اللفظ الغريب والمشكل في القرآن الكريم.

ننتقل بعد بيان الأسلوب الأول الذي اعتمده السلف في تفسير القرآن إلى الأسلوب الثاني المصطلح عليه **بالتفسير بدلالة السيـــــاق.**

(اهـ)

---

[96] -جامع البيان. تحقيق التركي ج509/15.

[97] - المصدر نفسه ج510/15.

[98] - ينظر.لسان العرب. مادة: **سرا** ،وتاج العروس. مادة: **سرا**

الدرس الخامس : التفسير بدلالة السياق

بعدما عرفنا النوع الأول من التفسير اللفظي للقرآن الكريم عند صحابة الرسول صلى الله عليه و سلم، و التابعين من بعدهم ، وهو التفسير الأصل القائم على بيان ما يقابل اللفظ القرآني من لغة العرب ، نشرع في بيان النوع الثاني من أنواع البيان و هو المصطلح عليه بالتفسير بالمدلول السياقي للفظ.

فالتفسير بالمدلول السياقي للفظ : هو أسلوب عرف عند السلف لاسيما عند التابعين منهم ،واتخذ تسميتين بارزتين هما : **"الوجوه و النظائر" أو" الأشباه و النظائر."**

ويبدو من تتبع ورودهما في مصنفات السلف أن الغالب استعمالا من هاتين التسميتين الأولى أي : (**الوجوه و النظائر**).

و (الوجوه و النظائر) أو (الأشباه و النظائر) ما هي في الواقع إلا مؤلفات في المشترك اللفظي في الميدان القرآني في الدرس الحديث ، غير أن التسمية **بالمشترك اللفظي** في القرآن الكريم لم ترد عند القدامى، و إنما ورد ت بدلها هاتان التسميتان ،ذلك أن مصطلح (لفظ) لا تقال في رحاب القرآن الكريم باعتبار ما تؤول إليه الكلمة من الناحية اللغوية ، ولهذا عدل القدامى إلى بديل عنها في التعامل مع كلام الله تعالى إلى مصطلح (**الكلمة**) ، يقول أبو الحسن الأشعري (ت334هـ) : " فإن قال قائل : حدثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه ؟ قيل له :(القرآن يقرأ في الحقيقة و يتلى و لا يجوز أن يقال : يُلْفَظُ به ، لأن القائل لا يجوز له أن يقول : إن كلام الله ملفوظ به ، لأن العرب إذا قال قائلهم : لفظت باللقمة من فمي ، فمعناها رميت بها ، و كلام الله تعالى لا يقال : يلفظ به ، و إنما يقال : يُقْرَأُ و يُتْلَى و يُكْتَبُ و يُحْفَظُ)، لهذا السبب وضعت عناوين أخرى تحمل معنى المشترك اللفظي و لكنها لا تحمل اسمه ". [99]

و من العناوين والمؤلفات التي تناولت **المشترك اللفظي للقرآن الكريم** ،ما ذكره على سبيل الإجمال جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي (ت 597هـ) حيث يقول : " لما نظرت في كتب الوجوه و النظائر التي ألفها أرباب الاشتغال بعلوم القرآن ، رأيت كل متأخر عن متقدم يحذو حذوه و ينقل قوله مقلدا له من غير فكرة فيما نقله ، و لا بحث عما حصَّله " [100]، ثم شرع ابن الجوزي بعد هذه المقدمة من كتابه: (**نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر**) في سرد من نُسِبَتْ إليهم كتب في هذا الحقل ، و في ذكر من ألف في ميدانه. ومن الذين نسبت إليهم كتب في عهد مبكر ،

---

[99] – الإبانة عن أصول الديانة . أبو الحسن الأشعري .تحقيق فوقيه حسين. ص101.

[100] – مقدمة كتابه . نزهة الأعين النواظر في علم الأشباه و النظائر. أبو الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي.

ذكر ابن الجوزي أنه نسب إلى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كتاب ، و كتاب آخر نسب إلى علي ابن أبي طلحة (ت 147هـ) عن ابن عباس [101].

و أما الذين ألفوا في هذا الميدان ، فقال عنهم ابن الجوزي :

" و ممن ألف كتب الوجوه و النظائر الكلبي (ت 146 هـ) و مقاتل بن سلمان (ت 150هـ) و أبو الفضل العباس بن الفضل الأنصاري (ت 186 هـ) [102].و روى مطروح بن مُحَمَّد بن شاكر (ت 271هـ) عن عبد الله بن هارون الحجازي عن أبيه كتابا في الوجوه و النظائر ، و أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن النقاش (ت 351 هـ) و أبو عبد الله الحسين بن مُحَمَّد الدامغاني (ت 478 هـ) ، و أبو علي البناء (ت 471هـ) من أصحابنا ، و شيخنا أبو الحسن علي بن عبد الله الزاغوني (ت 527هـ) "[103] . و ختم ابن الجوزي حديثه عن المؤلفين بقوله:"و لا أعلم أحدا جمع الوجوه و النظائر سوى هؤلاء "[104].

و ذكر السيوطي(ت911هـ) في كتابه: (الإتقان في علوم القرآن) أن الذي صنف في معرفة الوجوه و النظائر قديما مقاتل بن سلمان ،كما ذكر أن الذين صنفوا في هذا الفن من المتأخرين ابن الجوزي ، و ابن الدامغاني ، و أبو الحسين مُحَمَّد بن عبد الصمد المصري و ابن فارس و آخرون[105].

و لم ينس السيوطي تذكيرنا بأنه–شخصيا– أسهم في هذا الحقل بمصنف وذلك بقوله : " و لقد أفردت في هذا الفن كتابا سميته : (**معترك الأقران في مشترك القرآن الكريم**) "[106] .

هذا و قد تناول الأستاذ مُحَمَّد عبد الكريم كاظم الرضا في مقدمة تحقيقه لكتاب (نزهة الأعين النواظر) لابن الجوزي المؤلفات التي وضعت في حقل الوجوه و النظائر ، و بيان المطبوع منها و المخطوط و خلاصة ما سجله من هذه المصنفات نذكر الآتي :

أولا : الكتب التي وصلت إلينا مطبوعة أو مخطوطة :

1)– كتاب مقاتل بن سلمان (ت 150 هـ) بتحقيق الدكتور عبد الله محمودشحاته .

2)– كتاب برواية مطروح بن مُحَمَّد بن شاكر (ت 271 هـ) عن عبد الله بن هارون الحجازي ، و عنوانه (الوجوه و النظائر) و يذكر الباحث أنه ما زال محفوظا و قد طبع بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن.

---

[101]– ينظر . هامش تحقيق الكتاب. نزهة الأعين النواظر في علم الأشباه و النظائر .

[102]– ينظر . هامش تحقيق الكتاب .ص 82–83.

[103]– يظر . المصدر نفسه. ص 82–83.

[104]– ينظر . المصدر نفسه. ص 82–83.

[105]– الاتقان في علوم القرآن . ج185/1.

[106]– المصدر نفسه. ج185/1.

3)- كتاب الحكيم الترميذي (ت 320 هـ) و عنوانه : (تحصيل نظائر القرآن) مطبوع بتحقيق حسني نصر زيدان .

4)- كتاب الثعالبي (ت 429 هـ) المسمى: (الأشباه و النظائر)، و طبع الكتاب بتحقيق مُحَمَّد المصري .

5)- كتاب أبي عبد الرحمان اسماعيل بن أحمد الضرير المتوفى (ت 430هـ) و عنوانه : " وجوه القرآن "و هذا الكتاب لا يزال مخطوطا.

6)- كتاب أبي عبد الله حسين بن مُحَمَّد الدامغاني (ت 448 هـ) و عنوانه: الوجوه و النظائر في القرآن الكريم) و هو مطبوع بتحقيق عبد العزيز سيد الأهل .

7)- كتاب أبي الفرج عبد الرحمان الجوزي (ت 597هـ) باسم : (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر)، تحقيق مُحَمَّد عبد الكريم كاظم الرضى .

8)- كتاب أبي العباس أحمد بن علي المقرىء (ت 658 هـ) و عنوانه : " وجوه القرآن "والكتاب لا يزال مخطوطا.

9)- كتاب أبي العباس أحمد بن علي بن القاسم البامياني و عنوانه: (المنتخب من كتاب) " تحفة الولد " للإمام أحمد بن مُحَمَّد الحدادي ، و الكتاب لا يزال مخطوطا .

10)- كتاب شمس الدين بن مُحَمَّد بن علي العماد (ت 887 هـ) و عنوانه ☹ كشف السرائد عن معنى الوجوه و النظائر)، مطبوع بتحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم .

11)- كتاب العلامة مصطفى بن عبد الرحمان بن مُحَمَّد الأزيري (ت 1155هـ) و هو كتاب لا يزال مخطوطا .

12)- كتاب لمجهول عنوانه : " بيان معاني وجه الألفاظ القرآنية " و لا يزال مخطوطا .

ثانيا : كتب لم تصل إلينا و وصلت إلينا مقتطفات منها :

1)- كتاب عكرمة مولي ابن عباس لم يصل إلينا ، ذكره ابن النديم في الفهرست ، كما ذكره ابن الجوزي في مقدمة كتابه .

2)- كتاب علي بن أبي طلحة الهاشمي (ت 143هـ) عن ابن عباس أيضا لم يصل إلينا . و قد استخرج الأستاذ مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ألفاظا من صحيح البخاري نسبت إلي ابن عباس عن طريق علي بن أبي طلحة في كتاب سماه ☹غريب القرآن) 3)- كتاب مُحَمَّد بن السائب الكلبي (ت 146 هـ) لم يصل إلينا ، ذكره ابن الجوزي في مقدمة كتابه.

4)- كتاب أبي الفضل العباسي بن الفضل الأنصاري (ت 186 هـ) لم يصل إلينا ، ذكره ابن الجوزي في مقدمة كتابه .

5)- كتاب أبي بكر مُحَمَّد بن الحسن النقاش (ت 351 هـ) لم يصل إلينا ،و أشار ابن النديم في الفهرست إلى كتب منها :

أ)- الإشارة إلى غريب القرآن

ب)- الموضح في القرآن و معانيه .

6)- كتاب أحمد بن فارس اللغوي (ت 395 هـ) و قد أشار إليه الزركشي(ت794هـ) في (البرهان في علوم القرآن) ، و السيوطي في (الإتقان في علوم القرآن) باسم كتابه : (الإفراد) و قد نقلا منه .

7)- كتبا أبي علي الحسن بن أحمد البناء (ت 471هـ) لم يصل إلينا ،ذكره ابن الجوزي في مقدمة كتابه : (نزهة الأعين)

8)- كتاب أبي الحسن عبد الله بن الزاغوني (ت 527 هـ) و هو شيخ ابن الجوزي ، ذكره في مقدمة كتابه ، كما نقل عنه في (نزهة الأعين النواظر).

9)- كتاب أبي الحسن مُحَمَّد بن عبد الصمد المصري لم يصل إلينا . ذكره الزركشي في (البرهان في علوم القرآن) و السيوطي في(الإتقان) ،و (معترك الأقران في إعجاز القرآن) .

10)- كتاب ابن أبي المعافي لم يصل إلينا ، ذكره الزركشي في " البرهان" والسيوطي في"الإتقان. "

11)- كتاب جلال الدين السيوطي ذكره في الإتقان و قال: " و قد أفردت في هذا الفن كتابا سميته (معترك الأقران في مشترك القرآن) . و وصل إلينا الكثير منه في كتاب السيوطي (معترك الأقران في إعجاز القرآن) .[107]

معنى الأشباه و النظائر :

***أولا: لغة:**

ورد في القاموس المحيط للفيروز أبادي (ت 817 هـ) قوله : " الشِّبه بالكسر و التحريك و كأمير : المثل ، و الجمع : أشباه "[108].و قال الزبيدي (ت 1205هـ) في شرحه : " النظر –كأمير – و المناظر : المثيل ، و الشبيه في كل شيء . يقال : فلان نظيرك ، أي : مثلك لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء "[109]. و قال : " و النظائر : الأفاضل و الأماثل ، بعضهم ببعض في الأخلاق و الأفعال و الأقوال "[110].و مما تقدم يتبين أن لفظي الأشباه و النظائر يأتيان في اللغة لمعنى واحد ، و عليه يكون معنى الأشباه هو معنى النظائر .

***ثانيا:اصطلاحا :**

ذكرنا من قبل أن المصطلح غلب على المؤلفات التي كتبت في هذا العلم و كان أول من تناول هذه التسمية بالشرح و التحليل ابن الجوزي حيث حلل في كتابه معنى الوجوه و النظائر، فذكر في مفتتح مقدمة كتابه :" نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر " فقال:" و اعلم أن معنى الوجوه و النظائر أن تكون الكلمة واحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحدو حركة واحدة ، و أريد بكل مكان معنى غير الآخر . فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر .و تفسير كل كلمة بمعنى غير المعنى الآخر هو **الوجوه** ، **فإذًا النظائر: اسم**

---

[107]- ينظر . مقدمة الأستاذ مُحَمَّد عبد الكريم كاظم " نزهة الأعين النواظر " بتصرف

[108]- القاموس المحيط . مادة: **شبه**

[109]- تاج العروس . مادة: **نظر**

[110]- المصدر نفسه . مادة:**نظر** .

للألفاظ،والوجوه : اسم للمعاني ، فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه و النظائر. "[111] و لمزيد بيان نستعين بمثال مما ورد في كتاب مقاتل ابن سليمان و هو " الأشباه و النظائر ".

قال مقاتل (ت150 هـ) : " تفسير **الحسنى** على ثلاثة أوجه :

فوجه منها : الحسنى ، يعني : الجنة . فذلك قوله في يونس : ﴿**لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ .....**﴾ **يونس/26** ، يعني الذين وحَّدوا لهم الحسنى ، يعني : الجنة ، (و زيادة) يونس /26 يعني : النظر إلى وجه الله ، و نظيرها في النجم ، حيث يقول : ﴿.... **وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى** .﴾ **النجم/31** ، يعني : بالجنة ، و كقوله في الرحمان : ﴿**هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ** ﴾ **الرحمان/60** ، يقول : هل جزاء أهل التوحيد إلا الجنة .

و الوجه الثاني : الحسنى ، أي البنون ، فذلك قول الله تعالى في النحل : ﴿... **أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ** ﴾**[النحل / 62** [112] أي البنون .

و الوجه الثالث : الحسنى ، يعني : الخير ، فذلك قوله في براءة : ﴿.... **وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ** .. ﴾**التوبة /107** يقول : ما أردنا ببناء المسجد إلا الخير[113] . و نظيرها في النساء : ﴿... **يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنا وَتَوۡفِيقًا** ﴾[114] **النساء /62**،يعني : الخير "

1) يلاحظ مما تقدم أن مقاتل بن سليمان جعل لفظ (الحسنى) في القرآن الكريم على ثلاثة وجوه و هي : (الجنة و البنون و الخير) و **هذه الوجوه معاني مختلفة لهذه اللفظة.**

2) كما يلاحظ أيضا أنه يكفي في الوجوه أن تتفق في المادة اللغوية ، و إن لم تتفق في صورة اللفظ كما في (الحسنى) و (الإحسان).

3) يظهر من تفسير مقاتل أنه فسر (الحسنى) في آية يونس بأنها(الجنة) ، ثم جعل (الحسنى) في آية سورة النجم نظيرة لآية سورة يونس . و فسر(الحسنى)في آية سورة براءة بأنها(الخير)، ثم جعل (الحسنى) في آية سورة النساء نظيرة لها ، فهما موضعان مختلفان من القرآن لكنهما اتفقا في مدلول اللفظ ، و هذا يعني أن تماثل المدلول في الآيتين هو ما يصطلح عليه **بـــ(النظائر)** .

4) لم يذكر مقاتل بن سليمان في الوجه الثاني نظيرا للآية ، و هذا يعني أنه لا يلزم أن يكون بالضرورة في كل وجه من الوجوه نظائر من الآيات . و بناء على ماتقدم من ملاحظات يمكن أن نقول بأن :

---

[111]- ينظر . مقدمة نزهةالأعين النواظر . ص83

[112]- الآية (و يجعلون لله ما يكرهون و تصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسن)

[113]- إشارة إلى أول الآية ، وهو قوله تعالى (و الذين اتخذوا مسجدا ضرارا و كفرا و تفريقا بين المؤمنين)

[114]- ينظر.الأشباه و النظئر . مقاتل بن سلمان. ص11.

الوجوه : هي المعاني المختلفة للفظة القرآنية في مواضعها من القرآن الكريم.

وأما النظائر : فهي المواضع القرآنية (الآيات القرآنية) المتعددة للوجه الواحد التي اتفق فيها معنى اللفظ ، فيكون معنى اللفظ في هذه الآية نظير ،أي شبيه معنى اللفظ في الآية الأخرى .

و بعد أن وضحنا بالتمثيل **دلالة الوجوه و النظائر** من الناحية الاصطلاحية نعزز ذكره بنماذج أخرى من كتاب " **الأشباه و النظائر** " **لمقاتل بن سليمان** على النحو الآتي :

1-**النموذج الأول : دلالة لفظ (اللبس)**

قال مقاتل بن سليمان : " **تفسير اللبس** على أربعة وجوه :

فوجه منها : يلبسون يعني : يخلطون ، فذلك قوله في البقرة : ﴿**وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾**البقرة /42** ، يعني : لا تخلطوا . و نظيرها في آل عمران : ﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾**آل عمران / 71** . يعني : لم تخلطون ،كقوله في الأنعام : ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ** ﴾**الأنعام / 82** ، لم يخلطوا الإيمان بالشرك.

و الوجه الثاني : اللباس يعني ، سكن ، فذلك قوله في البقرة : ﴿**أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاس لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاس لَّهُنَّۗ** ...﴾**البقرة / 187** ، يقول : نساؤكم سكن لكم ، (و أنتم لباس لهن) ، يعني : سكن لهن ، كقوله في الفرقان : ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتا** ...﴾ **الفرقان /47** ، يعني : سكنا ، نظيرها في عمَّ يتساءلون ﴿**وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسا** ﴾**النبأ/10** ، يعني سكنا .

و الوجه الثالث : اللباس ، يعني : الثياب التي تلبس ، فذلك قوله في الأعراف : ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ** ...﴾**الأعراف** / 26 يعني الثياب . و قال في حم الدخان : ﴿**يَلۡبَسُونَ مِن سُندُس وَإِسۡتَبۡرَق مُّتَقَٰبِلِينَ** ﴾**[الدخان /53** يعني : الثياب .

و الوجه الرابع : يعني العمل الصالح ، كذلك قوله في الأعراف : ﴿... **وَرِيشاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ** ...﴾ **الأعراف /26** ، يعني العمل الصالح . "[115]

-فعند دراسة و تحليل الوجوه التي ذكرها مقاتل بن سليمان فإننا نسجل الملاحظات الآتية :

1)- إن أصل مادة (لبس) اللغوية يدل على معنى المخالطة و المداخلة كما ثبت عند ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة[116]، و يظهر أن الوجه الأول(المعنى الأول) من الوجوه(المعاني) المذكورة جاء على أصل مادة اللفظ الواردة في المعاجم

---

[115]- الأشباه و النظائر ص 105.

[116]- ينظر . مقاييس اللغة ج230/5.

2)- غلب إطلاق لفظ (اللباس) على الثياب الملبوسة ، فصار شيوع هذا المعنى أشبه بأن يكون أصل المادة[117] و لو أنه في حقيقة الأمر يعود إلى معنى(المخالطة و المداخلة) ، و على هذا المعنى المشهور جاء تفسير الوجه الثالث (المعنى) من الوجوه(المعاني) التي ذكر مقاتل بن سليمان .

3)- أما الوجه الثاني و الرابع (المعنى) ،فإن مقاتل بن سليمان كان قد نحا بهما إلى التفسير على المعنى (الحمل على المعنى)، و لم يبين مدلول اللفظ المباشر ، وإن كان المعنى يعود إلى أصل المادة الدال على(الاختلاط)، و هوأشد ارتباطا والتصاقا بالمدلول المشهور في المادة و هو(اللباس) ،فقوله تعالى : ﴿... **هُنَّ لِبَاس لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاس لَّهُنَّ** ...﴾ **البقرة /187** . فيه تشبيه للزوجين باللباس ، لشدة مخالطتهما فيما بينهما.و تفسيره(اللباس)في هذه الآية بأنه (السكن)، لأن كل واحد من الزوجين يسكن إلى الآخر ،كما يثبته ويدل عليه قوله تعالى : ﴿... **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ....﴾**الأعراف /189** ، و قوله أيضا في آية أخرى: ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّة وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰت لِّقَوْم يَتَفَكَّرُونَ** ﴾**الروم/21**.

- وأما قوله تعالى : ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسا** ... ﴾ **الفرقان/47** ، و نظيره من سورة النبأ ، هو من باب تشبيه الليل باللباس الذي يستر الإنسان أي أن اللباس كان يستر جسم الإنسان ، وكذلك الحال فإن(الليل) يستر(الإنسان).

و تفسير (اللباس) في هاتين الآيتين بأنه (السكن) ،كأن فيه إشارة إلى تفسيرها بما ورد في قوله تعالى : ﴿**هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ** ... ﴾**يونس / 67** ، و قوله تعالى : ﴿**أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ** ...﴾ **النمل /86** ، و غيرها من الآيات الدالة على هذا المعنى الذي لا يخرج –في حقيقة الأمر – عن معنى المخالطة لأن الليل يختلط بالإنسان و يغطيه فيكون له كاللباس الذي يلبسه .

-و أما تفسير قوله تعالى : ﴿.... **وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْر ذَٰلِكَ** ﴾**الأعراف/26** ، بأنه العمل الصالح ، فهو تفسير على لمعنى ، لأن المراد بلباس التقوى استشعار النفس تقوى الله في الانتهاء عما نهى الله عنه و إتيان ما أمر الله به ، و ذلك يجمع الإيمان و العمل الصالح[118]. فَتَلَبَسُهُ بهذا يدل على المخالطة منه لهذه الأمور حتى كأنها عليه كاللباس الذي يلبسه ، فكما يظهر أثر لباسه عليه ، يظهر عليه أثر التقوى بعمل الطاعات و اجتناب المنهيات ، و ما يلحق ذلك من حسن السمت و الحياء و غيرها من أخلاق الإيمان .

النموذج الثاني : دلالة لفظ (الطاغوت)

---

[117]- ينظر . المصدر نفسه . ج230/5.

[118]- ينظر . جامع البيان . ج371/12.

قال مقاتل بن سليمان : " تفسير الطاغوت على ثلاثة وجوه :

فوجه منها : الطاغوت : يعني به الشيطان ، فذلك قوله في البقرة : ﴿... **فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ** ... ﴾ **البقرة / 256** ،نظيرها في النساء حيث يقول : ﴿... **وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ** ... ﴾**النساء/76** ، يعني في طاعة الشيطان ، و نظيرها أيضا في المائدة حيث يقول : ﴿**قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ** ﴾**[المائدة / 60** ، يعني : الشيطان .

و الوجه الثاني : الطاغوت يعني : الأوثان التي تعبد من دون الله ، فذاك قوله في النحل : ﴿**وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ** ....﴾**النحل / 36** يعني : اجتنبوا عبادة الأوثان ، و نظيرها في الزمر حيث يقول : ﴿**وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ** .... ﴾ **الزمر/17** ، يعني : الذين اجتنبوا عبادة الأوثان ، و أنابوا إلى ربهم .

و الوجه الثالث : الطاغوت : يعني : كعب بن الأشرف اليهودي ، فذلك قوله في البقرة : ﴿.... **وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ** ...﴾**البقرة/257** ، يعني : كعب ، (يخرجونهم من النور إلى الظلمات) ، نظيرها في النساء حيث يقول : ﴿**أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ** ....﴾**النساء / 51** ، يعني : اليهود ، **(يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ)** يعني كعب الأشرف " [119].

– فحينما ننظر هذه الوجوه و التفسيرات التي أوردها مقاتل بن سليمان يمكن أن نقف عند الملاحظات الآتية :

1)– إن جمله الوجوه(المعاني) المذكورة للفظ الطاغوت هي تفاسير على المعنى ، نظر فيها مقاتل بن سليمان إلى سياقات الآي ففسر بها ، و لم يلتفت إلى أصل اللفظ و معناه في اللغة وكتب المعاجم .

فالطاغوت كلمة مأخوذة من المادة اللغوية (طغى) و هذه المادة لها أصل واحدو هو مجاوزة الحد [120]، فكل شيء تجاوز به المرء الحد فقد طغى به ، يقول الراغب الأصفهاني : " الطاغوت : عبارة عن كل متعدّ ، و كل معبود من دون الله " [121].

2)– إن المتأمل في الوجوه الثلاثة الواردة تفسيرا للفظ (الطاغوت) يجدها ترجع إلى هذا المعنى الذي ذكره الراغب الأصفهاني .

---

[119]– الأشباه و النظائر. ص115–116.

[120]– ينظر. مقاييس اللغة. ج412/3.

[121]– ينظر .معجم مفردات ألفاظ القرآن. ص520.

و خلاصة الأمر :

إن هذه الأمثلة و أمثالها تبين بوضوح أن كتب "الوجوه و النظائر "تنص على **المعنى اللغوي** ابتداء، إذا كان مرادا في الآية ، كما تكثر من ذكر **المعنى الاستعمالي** أي **المناسب للسياق** ، و لا يكون فيه – غالبا – خروج عن المعنى اللغوي الأصل ، كما اتضح من النماذج والأمثلة المذكورة.

و هذه الثنائية الدلالية نؤكد وجود علاقة قائمة و بقوة بين علم الوجوه و النظائر القرآنية من جهة ، و اللغة من جهة أخرى ، و هذه العلاقة يمكن تجسيدها في أمرين :

الأول : الأصل الجامع لمعنى اللفظ في لغة العرب ، و معرفة علاقة هذه الوجوه بهذا الأصل .

الثاني : أن بعض هذه الوجوه يكون دلالات لغوية مباشرة ، و قد تتعدد الوجوه بتعدد هذه الدلالات ، والنظر في ذلك يرجع إلى استعمال العرب حسبما قرره أهل اللغة . و إذا وجد في كتبهم شيء من الوجوه لا يوجد له دلالة مباشرة في كتب أهل اللغة فإن هذا لا يعني خروجه عن اللغة ، و لكن يلحظ أنه لا بد من وجود ارتباط بينه و بين أصل المعنى اللغوي.

(اهـ)